م/ لماذا هجرت وطني

ليس من السهل على الانسان أن يتجرد من عواطفه، خصوصاً نحن الشرقيين بكافة اقواماً وطبقاتنا. فنحن تحكمنا العاطفة قبل العقل، وكثيراً منا فقد من الفرص الذهبية الكثير من أجل تحسين وضعه المادي والمعنوي، وذلك بتحكيم العاطفة قبل العقل.
كثيراً ما ترددت بين عاطفتي وعقلي في حكم الاشياء، وكثيراً ما كنت الخاسر في ذلك، حيث اجلت مغادرتي للعراق بلدي عدة مرات. وبدلاً من ذلك تقبلت الظلم والتفرقة العنصرية والدينية التي كان يمارسها علينا نظام صدام حسين العفلقي، وكل ذلك بسبب الالتزام العاطفي تجاه الوطن والبيت والاقارب والاصدقاء.
كنت أظن بأنهم مثل الماء والهواء، لا استطيع العيش بدونهم، ولكن في النهاية تبين لي بأن الهلاك هو مصيري، اذا بقيت مرتبطاً بعواطفي، وهكذا رجحت العقل وهربت من بغداد. لم افقد عزتي وكرامتي طيلة فترة خدمتي في الجيش العراقي، ونتيجة لذلك، ما اكثر ما عانيت من تحقيق واعتقال واجحاف في الحقوق وكل ذلك بسبب العزة والكرامة.
لقد شاهدت الكثير يصعدون في كفة الميزان، أناس فقدوا عزتهم وكرامتهم، يصعدون السلم الاداري، ويغتنون، فكيف هذا؟ هل المعادلة التي انا مؤمن بها خاطئة؟ هل العزة والكرامة تؤدي بالانسان الى الهبوط؟ المعادلة لم تكن خاطئة، بل المعيار الذي يقاس به اخلاص الانسان ومقدار احترامه لنفسه كان مختلفاً فقد خف وزن هؤلاء الصاعدين، حتى اصبحوا اخف من الهواء، فصاروا يصعدون، ويصعدون الى الأعلى، ولكن اين نهاية المطاف؟؟
كانوا يقولون لي بأن المنطقة الشمالية اصبحت في مصاف دول العالم المتحضر من ناحية الديمقراطية والحرية الفردية، لذا تركت أهلي (أب مسن، وأم مقعدة وأخ معقد من حادث سيارة) تركتهم، وهم احوج اليّ من اي شيء آخر، وتركت خلفي داري واثاثي وقطعة ارض، اضطررنا أنا وزوجتي على جعلها اخس مايكون وتخلينا عن الكثير من ارتباطاتنا. كنت اشعر بالاختناق، لقد فقدت الحرية بكامل معانيها، وفقدت معها عائلتي حرية قرار مصيرها. لم استطع أن أتقبل اكثر من هذا. لذلك كان قراري هذه المرة نهائياً، حيث كنت سابقاً اقرر الهرب ولكن لالتزامات ذكرتها سابقة كنت اعدل عن قراري، ولكن هذه المرة قراري كان من غير رجعة.

[illegible]

على التقدم الى الشمال.... لقد ذكرتها ضمن ما ذكروا بالحركة الديمقراطية الاشورية (زوعا) ، وكيف انها تقوم بمهامها القومية وتلم الشمل القومي دون تفرقة مذهبية او طائفية . لقد كنت متعطشاً للانضمام الى حركة كهذه اجد فيها نفسي الضائعة بين العرب والأكراد الذين كل من جانبه يحاول اذابتنا في قوميتهم . هولاء هيهات لقومية اصيلة مثل قوميتنا أن تمحى بهذه السهولة ضمن الممارسات الشوفينية للعناصر العنصرية في الماضي . قلت لنفسي اخيراً سأمارس مهامي كآشوري ولن اتردد في قولها بعد الآن . لهذا الكلمة التي غالباً ما سببت لي المشاكل في الجيش والدائرة المدنية ، فسابقاً عندما كنت اكتب هذه الكلمة في استجواب او طلب معلومات ، كنت اتلقى الاهانة النفسية والتعذيب الجسدي وكنت أُرغم على ابتلاعها او شطبها ، محللين ذلك بأننا كلنا عرب وان الاشوريين هم عرب مهاجرون من الجزيرة استوطنوا بلد مابين النهرين . لقد عانيت الكثير بسبب القومية من ضمنها النفي الى وحدات في اقصى الحدود ، وممارسة ظروف ليست من اختصاصي .... والخ ، ولكنني كنت مصمم على استعمالها كلما سنحت لي الفرصة .... وفي الأخيرة قبل هروبي من الوطن استعملتها وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال .... فقد استلمت استمارة طلب معلومات ضباط الجيش ، وتوقفت عند فقرة القومية ..... وفكرت كثيراً ثم كتبت آشوري امامها .... وبعد يومين من تسليمنا الاستمارات تم استدعائي من شعبة أمن (الفرقة ١٥) وتم تحذيري من مغبة استعمال هذه الكلمة وطلبوا مني شطبها ، فرفضت . وقلت انكم شطبتموها مرات عديدة سابقة بدون الرجوع الي فلماذا الآن ؟ وعرفت من قرارة نفسي بأن هناك اتجاه مسبق لتصفيتي لتحركاتي الخطرة ضمن الجنود الاشوريين واهتمامي بهم . ثم رفع مجلس تحقيقي بالحادث ووجهت الي تهمة محاولة تمزيق الصف العربي ، وقلب نظام الحكم ، والخروج عن مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي !!!

متصوراً بأن المتهم أسامة بحرو المسكين الذي لا حول له ولا قوة والذي ينتقل يومياً من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، سيقلب

نظام حاكم فاسد امتدت جذوره الى أعماق الأرض بمباركة العديد من الجهات الدولية صاحبة القرار .... تركت خلفي هذا الجحيم مفتوحاً وضع كل الأسف ٣/ بدون الدفاع عن نفسي ، ولكني أعرف بنهاية المطاف .

وصلت المنطقة المحررة من العراق بعد عدة محاولات ابتدأت من شباط ١٩٩٥ وانتهت بالنجاح في أيلول ١٩٩٥، مع عائلتي وبعد دفع مبالغ طائلة لأجل هذا الهدف.

خلال وصولي اتصل بي بعض الرفاق من فرع دهوك للحركة واستقبلوني ورحبوا بي ، ووعدوا بالاهتمام بي لأني فعلاً ثروة غير قابلة للتبذير بالنسبة للقضية القومية ... فاختصاصي هو مستقبل هذا العصر (الكومبيوتر) وليس لديهم مثل ذلك وهم بحاجة الى الكومبيوتر لتجاوز الزمن المفقود والمهدور.

التقيت بالرفيق (يلدا) مسؤول فرع دهوك للحركة الآشورية، وعدني بوعود كثيرة ، ولكن من مستوى كلامه وما لمسته تبين لي بأن هذا الشخص هو عبارة عن حجر شطرنج لا حول له ولا قوة سوى الموافقة على التحرك بأمر من فوق وكانت هذه بالنسبة لي الصدمة الاولى !!

بعد فترة قصيرة ارسل في طلبي الرفيق يعقوب (يونادم يوسف كنا) ، بعد أن سمع بقدومي واختصاصي كردي مهندس عسكري هارب وسرياني .... فذهبت فعلاً الى اربيل لمقابلته ، وقد قابلني بكل احترام وتقدير ، وأبدى حاجة الحركة لي ، وبعد حديث مطول قال لي بأنهم يحتاجوني لأدرس في الجامعة (جامعة صلاح الدين في أربيل) لأن من المهم في هذه المرحلة من النضال أن نستبدل و نحتل مراكز مرموقة في المنطقة لكي نظهر وجودنا وقوتنا ، وقد صدقته فعلاً ووافقت على ما اشار به .... وماذا يفعل خدمة حزب الاتحاد الوطني الكردستاني الذي هو مثل الكلب المطيع لهم ، ويقول لهم بأنه طلب من استاذ آشوري القدوم الى المنطقة لحل مشكلة من مشاكل التدريس. لقد فرحت كثيراً بما حدث حيث وعد الرفيق يعقوب بتسليمي دار خاصة بأساتذة الجامعة ، كما طلب مني أن اساعدهم في ~~الاعلا~~ مكتب الاعلام المركزي التابع للحركة كاختصاص لشخصيتي ، وقد رجعت الى دهوك وكلي أمل بأن اكون قد بدأت طريق النضال القومي الحقيقي.

بعد فترة قصيرة ارسل الرفيق يعقوب برقية يطلب فيها مني الحضور فوراً الى اربيل مع عائلتي وقال بالنص (إن جميع مستلزماتي واحتياجاتي قد نفذت)

بعد من ... بي واستطعت ... الى [illegible] ، ولكن لاحظ

بأن كافة ما ذكرته به ليس له وجود ، علماً كوني قد عينت كأستاذ في
الجامعة ، وبدأت رحلة المشقة والعذاب من جديد .... فبدلاً من أن استقر في بيت
من بيوت الجامعة اضطررت بأن أستأجر بيت بسعر غالي جداً في عينكاوة
وحاولت تنبيه بعدم ايفاء الرفيق يعقوب بوعده ، بحل كثرة الالتزامات الحزبية
والسياسية وكلفت نفسي بأن الأمور ستستقر قريبا . بعدها بدأت الدعاية
الاعلامية بانضمامي الى الحركة واستدعاني الرفيق يعقوب عدة مرات الى
داره وقابلني وعرفني على العديد من الكوادر والأحزاب الأخرى في المنطقة ، و
ظهرت في التلفزيون عدة مرات مع الرفيق يعقوب في استقبال من أعضاء الأحزاب
الأخرى .... لم أكن أتصور بأني سأكون وجه للدعاية فقط ، لقد كان كل اقتناعي
التوسع على ديمقراطية الحركة في استقبال كل الأحزاب واعطائها دورها القومي
وبأن الكل متساوين في الحقوق والواجبات .

وصل الرفيق يعقوب للعمل في مركز اعلام الحركة ، وفعلاً بدأت بالمواظبة على
الحضور هناك ، وبدأت بمحاولة العمل ولكني فوجئت بصدود معظم المسؤولين
عني وتعمد اهمال وجودي .... لقد قلت وكررت عدة مرات بأني جئت لأعمل
كجندي صغير في صفوف الحركة متناسياً رتبتي ومنصبي العسكريين لأحقق
ما كنت أصبو اليه ، كنت مستعد للقيام بأي عمل بسيط من أجل قضية قوميتي
وليس من أجل الجاه والمنصب .... كنت استطيع لو أردت أن أخون حزبي
ومبادئي وأكون مثل رفاقي في الجيش وأصبح ذو شأن ومال كما ذكرت
سابقاً ، ولكني رفضت التخلي عن مبادئي . لقد عرض علي الكثير الأمان والانتساب
ضمن أحزاب أخرى في المنطقة الكثيرة ، ولكني رفضت رغم علمي بأن هذه الأحزاب
هي الرئيسية في المنطقة وصاحبة القرار والسلطة الفعلية ، حيث أن لي حزب
أعمل معه وذي قضية أناضل من أجلها أو هكذا تصورت ...

لقد طرحت العديد من الحلول لمشاكل كانت تواجه الاعلام والحزب وجلسنا كثيراً
في جلسات حوار عرضت فيها رأيي بالواقع الحالي والمشاكل وطرق معالجتها
ولكن الظاهر بأن الحلول التي ذكرتها لم تكن تخدم مصالح المتنفذين في الحزب
وعلى اثر ذلك بدأت الحرب الباردة معي من قبل الرفيق كمائيل ننو
مسؤول مكتب الاعلام المركزي وعضو المكتب السياسي ، علماً بأني

... ، الحزب ... ، مدير ... ، رئيس تحرير
الجريدة، مدير الاذاعة، مسؤول مكتب العلاقات الوطنية، مسؤول المكتب العسكري
... الخ. لقد كان كل هؤلاء موظفين كما يقوله الرفيق يعقوب فالكل
لا يتحرك إلا بمشورته ولا يتحدث إلا بأمر منه. اخيراً تبين لي صدق
ظنوني منذ البداية، بأن الحركة خلقت واستحدثت ليشغل بعض الاشخاص
مناصبه، ويتوجون رؤوسهم بهالات الجاه التي لا تجد سواهم، ويستغلون
اموالاً كانت ترسل الى المحتاجين من ابناء شعبنا واعادة اعمار ما تهدم
من قرى وكنائس، تبين لي بأن هناك فقط اشخاص محدودين لهم
القدرة على اتخاذ القرار (ولا اقصد بقرار لمصلحة الامة ولكن قرار من اجل الاطماع
الشخصية والعشائرية). فمثلاً مسؤول اي مكتب ضمن تنظيمات الحركة
لم تكن له الثقافة او الدراية او الشخصية لادارة مكتبه واشغال منصبه بجدارة
لقد كانوا كاحجار شطرنج صماء يحركها اللاعبون لخدمة مصالحهم الشخصية،
ولكن الفرق هنا بأن هناك لاعبان في لعبة الشطرنج، بينما هناك
اكثر من لاعبان في الحركة، فالرفيق يعقوب طرف صراع ويقابله الرفيق
نينوس سكرتير الحزب وهناك الحكم (الدكتور) هرمز، ولا ادري
كيف حلت عليه الدكتوراة وهو خريج (معهد صحي)، وبالذات هذا
الدكتور المدعي الذي يضغط على هذا وذاك عن طريق الألمام بقضاياهم
المالية والاجتماعية وليس من اجل المصلحة القومية كما يدعي بل من اجل مصلحة
جيبه الخاص!!!
لقد تفاجئت بأن الحركة تتعامل مع الغير على انهم اعداء، فمن لم يكن
من ضمنهم فهو عدو وخائن .... أهكذا تكون الديمقراطية التي هي
شعار اسم الحركة. واذا بي ارجع الى كابوس قديم، كابوس المصالح
الشخصية، والانانية وحب المناصب وكرسي الحكم، واذا بي وجهاً لوجه
مع نسخة مصدقة من حزب البعث العربي الاشتراكي والذي هربت من ظلمه و
استبداده، واذا بي اواجه مرة اخرى الفردية في الحكم واتخاذ القرار والدكتاتورية
المتسلطة.
في هذه المرحلة كنت اتضور جوعاً أنا وعائلتي، وبالكاد استطيع اعالتهم
لأن ما جلبته معي من مال كاد أن ينتهي والجامعة التي أنا عضواً في ملاكها
التدريسي لم تكن تعطيني مستحقاتي، فالصراع كان على أشده بينها